تذاب فيها الاجسام القابلة للذوبان الى قسمين قسم يبقى سائلاً لا يتبلور الاَّ اذا لقح بالبلورات وقسم يتبلور من ذاته بلا ادخال شيء اليهِ وهذا ما يسمى بالتبلور الذاتي وهو يشبه ما يسمى بالتولد الذاتي في الاحياء . خذ مثالاً لك الغليسرين فاننا لا نعلم ما هي الاحوال والشروط التي يتبلور فيها لاننا اذا برَّدناهُ لم يتبلور بل تحوَّل الى سائل كثيف على ما هو معلوم . وكلُّ ما نعلمهُ عنهُ انهُ يتبلور ولكن تحت شروط واحوال نجهلها . ولم تكن بلورات الغليسرين معروفة قبل سنة ١٨٦٧ بل عرفت فجأةً تلك السنة وقد ظهر بالتجربة انها تذوب على درجة ١٨ من ميزان سنتغراد فاذا لم تتخذ التدابير اللازمة لبقاء البلورات الموجودة منها الآن على تلك الحرارة ذابت كلها وانقرضت عن وجه الارض

فيظهر مما تقدم ان الجماد يشابه الحيَّ مشابهة كثيرة في ظهورهِ وانتشارهِ وانقراضهِ . وهذه الامور تفضي الى نتيجة واحدة . فقد كانت البلورات قبل اجتماع الشروط والاحوال الملائمة لتولدها الذاتي تتولد من بلورات اخرى ليس الاَّ كما ان المغنطيس كان يعمل قبل اكتشاف المغنطيسية الكهربائية باسرار المغنطيس على قطع الفولاذ . وعلى هذا المنوال كان القدماء يزعمون ان كلَّ نار جديدة كانت تضرم من شرارة قبست من نار موجودة قبلاً . وما قالهُ القدماء في النار نقولهُ نحن الآن في الاحياء الارضية وهو انهُ ما من حيٍّ الاَّ وقد اشتقَّ من حيٍّ آخر موجود قبلهُ . ولا يبعد ان نرى الحي يتولد من غير الحي كما تتولَّد النار من غير النار

فلسفة الحرب الحاضرة

ونبذة من تاريخ اليابان

نشرت المجلة العمومية الفرنسوية فصلاً عظيم الفائدة عن الحرب الحاضرة فاخترت تعريبهُ لانهُ يشتمل على الاسباب التي حملت اليابان على امتشاق الحسام ومنازلة الروس في حرب عوان لا يعلم الاَّ الله متى يكون منتهاها قالت

يخطئُ من يظن ان اليابان انما شهرت الحرب على روسيا لمجرد امتلاك كوريا فان السبب الاعظم في اقدامها على هذه الحرب هو ان تقدمها السريع في جميع فروع المدنية اضطرها ان تطلب خارج الجزر اليابانية الضيقة مكاناً فسيحاً يسعها وهي تبني بناء تمدنها وعمرانها لان

الشعب الياباني الذي اخذ يرتقي منذ ثلاثين سنة رأى نفسهُ محصوراً في بلادهِ وعليهِ يصحُّ القول ان تقدم اليابان السريع اولد تلك الحرب

هذا ولم يسبق في تاريخ البشر ان امة خرجت في ثلاثين سنة من حضيض الجهل والفتن ونفضت عنها غبار الذل والمسكنة واقتدت باوربا فنظمت بلادها تنظيماً يضارع تنظيم اعظم البلاد المتمدنة حتى فاقت البعض منها بمراحل. بل لم ننظر في اي تواريخ من التواريخ ان امة نظمت جنديتها تنظيماً بديعاً وانشأت لنفسها عمارة بحرية ضخمة وفتحت المدارس في بلادها على اختلاف طبقاتها ونزعاتها و بلغت ما بلغتهُ اليابان في تلك المدة القصيرة حتى استطاعت الآن ان تقف في وجه اعظم دول الارض جاهاً وعزة وضخامة

في ثلاثين سنة انتقلت بلاد اليابان من استبداد القرون الوسطى التي كانت اوربا غارقة في لججهِ الى ارقى تمدن حديث اي ان فلاحاً يابانياً عمرهُ الآن ستون سنة راى مالم يرهُ آباؤنا اي انهُ قضى شبابهُ كخادم حقير عاش في ايام شارلمان وشاخ بين الافكار والعادات الحديثة. ان هذا لشيء عجاب

فان الجزر اليابانية كانت من مدة سبع وثلاثين سنة قائمة في وجه الشعوب الاوربية كارض مضى عليها عشرون قرناً وهم لا يعلمون من امرها شيئاً وكانت احوالها الداخلية تشبه احوال اوربا في زمن استبداد الامراء لان سلطة الامراء كانت في اليابان عظيمة وكان الاجانب يستوطنون بعض الثغور البحرية ويعيشون بمعزل عن البلاد الداخلية لان تكرر المذابح والثورات علمهم ان عاقبة التوغل في داخلية البلاد وخيمة حتى انهُ كان يهون على الانسان ان يسكن الصين ولا يسكن اليابان

فلم نسمع الاَّ وثورة عظيمة قلبت نظام البلاد رأساً على عقب وغيرتهُ تغييراً كلياً ذلك لان بعض اليابانيين وجدوا لداء بلادهم المستعصي دواء شافياً فقلبوا نظامها المختل وابدلوهُ بنظام جديد يشبه نظامات الغرب الحديثة فجاراهم امبراطورهم الحالي "موتسوهيتو" وغيَّر وبدَّل ونبذ تقاليد البلاد القديمة واقتبس من مدنية الغرب ما تمكَّن بهِ من انشاء مملكة عظيمة. منذ ذلك الحين سقطت اليابان القديمة وسقط معها نفوذ امرائها وهم في سبات وغفلة لا يعلمون معنى لهذا التغيير الفجائي. فاعلنت اذ ذاك مساواة اليابانيين جميعهم امام القانون واعلنت معها الحرية الشخصية وصار الامبراطور يحكم بمشورة برلمان او مجلس نواب ينتخب من افراد الامة وفتحت الثغور البحرية كلها في وجوه الاجانب وانتقلت عاصمة المملكة الى توكيو رسمياً. ذلك كلهُ جرى في بضعة اشهر ليس الاَّ

فاهتمّ اليابانيون بعد الثورة باصلاح البلاد لان الحكومة الحديثة تستلزم بلاداً احدث منها والحق يقال ان التفنن الغريب الذي اظهره اليابانيون في هذا المجال يحير عقول ذوي الالباب ويقضي بالعجب العجاب . فضربت النقود وتأسست البنوكة وانتشر التعليم الصناعي ومد التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والزراعية وانشئت المدارس والمجلات العلمية ونظمت البلاد وصار لها بوليس هو الآن في غاية من المهارة بل يضارع بوليس فرنسا والمانيا في الحذق والاستنباط

مدّت السكك الحديدية اولاً بين طوكيو ويوكوهاما وذلك سنة ١٨٧٠ فربط بها اعظم ثغر لليابان بعاصمتها وبلغ طول الخط جميعهِ ٢٨ كيلو متراً . وفي سنة ١٨٨٠ كان طول سكك الحديد اليابانية ١١٧ كيلو متراً فبلغ ٣٠١٠ كيلو مترات سنة ١٨٩٠ و ٦٠٨٠ كيلو متراً سنة ١٩٠٣ وهذه الزيادة عظيمة مدهشة . وكان في البلاد سنة ١٨٦٨ خط واحد للتلغراف بين طوكيو ويوكوهاما وفي سنة ١٨٩٣ بلغ طول اسلاك التلغراف ١٣٥٧٦ كيلو متراً وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عشرين الفاً وهذا التقدم سريع عظيم . ولم يكن للبوسطة الرسمية اثر في اليابان منذ ثلاثين سنة اما الآن ففيها الوف من المكاتب على غاية من الضبط والنظام

وعلى قدر ما كانت اليابان تتقدم في المدنية والاصلاح كانت لا تألو جهداً في تنظيم جنديتها وتجربتها والاقتداء بالدول الاوربية وخصوصاً فرنسا والمانيا مطمح انظارها ومقصد افكارها . فانشأت جيشاً عاملاً مؤلفاً من مئتي الف جندي ورديفاً يبلغ مئة الف جندي والغرض منهُ مساعدة الجيش العامل في الحرب . ومئة الف جندي من الجيش الاحتياطي يجمعون عند مسيس الحاجة . وفيها غير الجيوش المتقدمة ٤٦ اورطة من الطوبجية وتسعون الف جواد عدا المستشفيات والخدم والنقالين والحمالين . اما من جهة البحر فان التغيير عظيم ايضاً لان اليابان اشترت من اوربا ٧ بوارج حربية من الطبقة الاولى و ٧ مدمرات مصفحة على احسن طرز وابدع مثال و ١٧ بارجة حربية و ٣٠ نسافة هذا عدا كل ما زاد من البوارج والدوارع بعدئذٍ وهو كثير فدخلت اليابان بذلك في مصاف الدول البحرية العظمى

واغرب من هذا وذاك دقة الياباني في العمل ومهارتهُ في الاختراع والاستنباط بحيث لايمكن الاوربي ان يفوق عليهِ كثيراً . فالصناعة التي كان لايذكر لها اسم عندهم نمت وتقوت وعظمت الى حدٍّ ان معملاً واحداً في طوكيو باع من الحرير في سنة واحدة ما بلغ ٢٥ مليون فرنك ولما كانت اليابان مجموع جزائر كان عليها ان تزيد عدد بواخرها تسهيلاً للتجارة ففي سنة ١٨٩٠ كان عندها ٨٥٥ سفينة شراعية و ٥٨٠ باخرة فصار عندها في سنة ١٩٠١

اربعة آلاف سفينة شراعية و ١٤٠٠ باخرة فالعظمة ذلك النمو في هذه المدة القصيرة

اما نتيجة هذه النهضة فكانت هكذا : ان اليابان انتصرت على الصين وكوريا في حرب منظمة واتحدت مع اعظم دولة بحرية في الغرب وزادت تجارتها الخارجية زيادة خارقة للعادة ففي ١٨٩٠ قدرت تجارة اليابان الخارجية بمبلغ ٣٥٠ مليون فرنك فبلغت عام ١٩٠٣ مليارًا و ٣٥٠ مليونًا اما اشغالها الداخلية فعظيمة ايضًا ويكفي شاهدًا لذلك ان تقول ان بنكًا واحدًا من بنوكة يوكوهاما دفع الى احد عملائهِ تحويلاً بالتلغراف بمبلغ ٧ ملايين ونصف مليون فرنك

ولكن هل تقدمت تلك البلاد هذا التقدم الباهر في جميع فروع المدنية دون ان يكلفها ذلك شيئًا . كلا فمن جهة زادت نفقات الجند زيادة عظيمة وتضاعف دينها وازدادت الضرائب وحب الاستخدام في دوائر الحكومة الى غير ذلك مما هو مشاهد في حكومات الغرب الكبيرة . ولكن هناك خطرًا عظيمًا يكبر يومًا فيومًا ويهدد حياة تلك الدولة الشابة الممتلئة دمًا وقوة وشعورًا ذلك ان مساحة الجزر اليابانية كلها تكاد تبلغ ٣٨٢ الف كيلومتر والذي يمكن زرعهُ منها ٥٠ الفًا فقط فاذا كان ازدياد السكان سنويًا يقدر بخمسمائة الف نسمة تعذر على تلك الجزر ان تقوم بمعيشة شعب يبلغ عددهُ ستون مليونًا بعد عشرين سنة فاصبح من المقرر الواجب على اليابانيين ان يهاجروا من بلادهم لطلب الرزق في بلاد اخرى حيث يستطيعون توسيع دائرة اشغالهم واعمالهم بنسج السبل في وجه تجارتهم وصناعتهم . فاذا سلمنا بوجوب المهاجرة فالى اي بلاد يهاجر اليابانيون

والجواب ان الياباني يطلب الشرق الاقصى برمتهِ من سنغافورة الى فلادفستوك والهند الصينية ضمن هذه الدائرة الواسعة . وربَّ قائل يقول ان تحقيق الاحلام اهون من تحقيق آمال اليابانيين فنقول ان اليابان كبرت الى حدّ صارت معهُ المهاجرة محتمة عليها لان المواليد تزيد سنة بعد سنة زيادة عظيمة تضطر الياباني الى تحصيل رزقهِ في غير جزرهِ الضيقة واذا علمنا انهُ يدين بدين الامم التي يحاول المهاجرة اليها ويتكلم بلغات تلك البلاد التي يريد الانضمام اليها سهل عليهِ هذا الاستعمار وهذا التوسع خصوصًا بعد ان ملكت اليابان زمام التجارة والصناعة في جميع الشرق الاقصى وضربت مصالح اوربا جمعاء بحروب مدنية لا تلبث ان تعود عليها بالفوائد خصوصًا بعد ان رأينا منها هذه العظمة وهذا التقدم في كل فن من الفنون

بيد انها لم تخط خطوة في هذا السبيل الاَّ رأت امامها ان الجنس الابيض يناشبها حربًا عوانًا ويدافع عن مصالحهِ مدافعة اليائس لان اوربا واميركا تبيعان معًا للشرق الاقصى كل

سنة باحد عشر مليارًا من الفرنكات فخافتا ان تحل اليابان محلها في تلك الاسواق العظيمة بعد ان صارت الآن في غنى عن محصولاتهما لانها تكفي نفسها بنفسها وتزيد وتزاحم بضائع غيرها لرخص هذه البضائع عندها وهذا ناشئ من رخص اجور العمال في مصانعها . فتعذر اذ ذاك على اوربا واميركا منازلتها في حروب تجارية مثل هذه حتى اوشكت تجارتهما ان تبور في تلك الاصقاع

وظلّت الحال على هذا المنوال منذ سبع سنوات واوربا تحسب لليابان حسابًا عظيماً لغرمتها الانتفاع بنصرتها التي احرزتها على الصين وردتها داخل بلادها من غير ان تنال شبر ارض من عدوتها وخصيمتها فسكتت اليابان لهذا الفشل وكانت لاوربا من جهة اخرى الصاع صاعين فطردت وكلاء المحلات الاوربية التجارية الذين عندها بان زادت الضرائب على بضائعهم فلما وجدوا ان لا باب لهم للربح بهذه الطريقة غادروا البلاد . وعجلت في اصلاح جيشها وتكبيره واعداد بحريتها وجابت بحار الشرق الاقصى كلها طلبًا للاتجار فهددت تجارة اوربا وزادت مهاجرة ابنائها لجميع السواحل الصينية والكورية خصوصاً

بمثل هذا ظنت اليابان انها انتقمت من اوربا انتقامًا هائلاً . ولكن " ما كل ما يتمنى المرء يدركه " فان سكة حديد سيبيريا التي لم يحلم اليابانيون بها قط اظهرت لهم ان اوربا قريبة منهم تهددهم تهديدًا عظيماً لاسيما اذا تمكنت من ابتلاع منشوريا وكوريا والاشراف على البحر . منذ هذا الوقت تقررت الحرب واصبحت امرًا واجبًا لا بدّ منهُ لان آمال اليابان واشغالها المتواصلة باتت مرتبكة وبلادها على شفا جرف هارٍ

اما الآن فلا ينكر احد في ان الحرب الحاضرة هي بين روسيا واليابان فقط وان كوريا هي سببها . كلاّ فهي حرب بين جنسين الجنس الابيض والجنس الاصفر لاحتكار اسواق الشرق الاقصى والتوسع في المهاجرة والاستعمار فان فازت روسيا على اليابان فانما هي تشتغل لمصلحتها اولاً ولمصلحة اوربا ثانيًا . وان فازت اليابان عليها كان لها من وراء ذلك فوائد جمة تجعلها بعد زمن في غنى عظيم وعزّ متين

طنطا جوزيف دهان